حديث هام
لكنه غامض

في عدد حزيران ١٩٧٣ من مجلة المعرفة الصادرة في دمشق مقابلة هامة اجراها بدر الدين عرودكي مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك . في هذه المقابلة يطرح بيرك العديد من المفاهيم الادبية والثقافية التي تمس مباشرة حياتنا الثقافية الراهنة . وتتمركز آراء بيرك حول ثلاثة محاور :

ا — فهو حين يحلل ظاهرة التجديد في الشعر العربي المعاصر يصل الى الاستنتاج « ان الشعر المعاصر ، قد تبنى المعنى القديم والمستمر للاطلال والذي هو عبارة عن الحنين الى الوطن ، وأضاف اليه معنى اجتماعيا جديدا هو الاغتراب او الضياع » . وحول مبررات دراسة الشعر العربي انطلاقا من مقدمات سوسيولوجية يرى بيرك : « مما لا شك فيه ان ما هو شعري لدى الشاعر لا يكتفي بعكس البيئة ، وانما يقوم بخلقها ايضا. الشعر والشعر العربي منه هو كما قال مؤخرا شاعركم الكبير ادونيس مقولة من مقولات الابداع التاريخي . ان بينه وبين المقولات التاريخية الاخرى ، السياسة والتكنولوجيا الخ. ، علاقات متكافئة ، لا علاقات انعكاسات . ومن الخطأ القول ان الشعر يعكس الواقع . انه كالوعي يؤثر على المقولات الاخرى ، بقدر ما تؤثر هي عليه ... الشاعر انسان ، يؤثر في المجتمع تأثيرات لا يتلقاها هو نفسه من المجتمع . انه بذلك يؤلف رسول فضل القيمة . وذلك يفسر بالتالي تضامنه في الحياة السياسية مع الطبقات الاجتماعية خالقة فضل القيمة » .

ب — يعيد بيرك محاكمة عصر النهضة . فهو يدعو الى نقد النهضة المتهمة « بوضع العرب في طريق خاطىء . اني اعتبر ادباء النهضة مقتبسين ومتممين » .

ج — حول القصة والرواية والانواع الادبية الاخرى ، يرى بيرك ان الفنون التي كانت معروفة سابقا ، أي قبل ما يسمى بعصر النهضة ، قد أخفقت في تجديد نفسها ، نتيجة الصراع بين القديم والجديد . كالموسيقى مثلا . بينما في الرواية وهي نوع ادبي جديد « فقد كان العرب خلاقين بما فيه الكفاية » . وهو يعتبر ان العرب قد نجحوا كثيرا في ميدان الابداع الشعري : « فعندما سيطر الشاعر بما فيه الكفاية على قيم لغته الخاصة لكي يضاعف في الابداع في المناهج او في مصادر الوحي . فقد حقق هذه المضاعفة بواسطة قيم لغته الخاصة ، لا عن طريق مناوأتها. ولذلك بالتحديد اعتقد ان العرب قد حققوا نجاحهم الاكبر في الشعر » .

ان المقابلة مع جاك بيرك ، كبيرة الاهمية . فهي في طرحها للقضايا الرئيسية التي تشكل ميدان الممارسة الابداعية في حقل الادب والفن ، تطرح اشياء جديدة ، ومنهجها في التحليل الادبي يتجلى في ضرورة دراسة الشعر انطلاقا من مقدمات سوسيولوجية . غير ان الطابع السريع للمقابلة ، قد أبقى أهم المفاهيم التي يطرحها بيرك ، غامضة وخارجة عن اطار الدراسة الموضوعية الهادئة . فموضوع علاقة الشعر بالوعي ، وعلاقة الوعي بالمقولات الاخرى ، ووضع وجهة نظر بيرك ضمن السياق التاريخي لفهم العرب للشعر وممارستهم للابداع الشعري ، قديما وحديثا ، يتطلب مناقشة واسعة ، تنطلق من ضرورة اكتشاف العلاقة بين المستويات المختلفة للثقافة العربية ، وعلاقة هذه المستويات بالتطور التاريخي ، الاجتماعي ، الاقتصادي ، لبنية المجتمع العربي .

درويش يمرّ
بين فراغين !

● يتابع محمود درويش في قصيدته الجديدة « كأني أحبك » [الاهرام ٦ — ٧ — ٧٣] الخط الذي بلوره في « النزول من جبل الكرمل » . فالموقف الغنائي هو موقف مأساوي في بعده الاساسي . والمزاوجة بين الواقع والحلم هي مزاوجة لا تنتهي الا الى تساؤل جديد . فالقصيدة تنتهي في نقطة